

ألهاكم التكاثر



حتى زرتم المقابر

تفسير سورة التكاثر

للشيخ هاني حلمي حفظه الله

www.Manhag.net

الحمد لله وكفى وصلّى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستكملين الشرف ثم أما بعد:

فأسال الله تبارك وتعالى أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا, ونور أبصارنا, وجلاء همومنا, وذهاب غمومنا, اللهم نوّر بالقرآن قلوبنا
، اللهم إنّا نعوذ بك من قلوبٍ في قبور, فإنه لا تسمع الموتى ولا يسمع الصم النداء إذا ولّوا مدبرين، فنعوذ بالله من قلوبٍ لا تسمع ونعوذ بالله من عمى القلوب، {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46], ونسأل الله عز وجل أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا.

تفسير سورة التكاثر

نتدارس بحول الله تبارك وتعالى سورة التكاثر, وهي سورة مكية في قولِ جميع المفسرين، وروى البخاري أنها مدنية وهي ثماني آيات، القول الأشهر أنها سورة مكية.

الموضوع الذي تعالجه السورة

هذه السورة العظيمة سورة اشتملت على معنى في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة, من جملة الآفات النفسية التي تحدّث عنها القرآن منذ أن كنا نتدارس الآيات من سورة البلد فما بعد، ونحن نتأمل في هذا المعنى أنّ القرآن يكلمني عن مشاكل في هذه النفس، حتى ونحن نتدارس السورة الماضية سورة القارعة وجدنا في خاتمتها الكلام عن إشكالية {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة: 9], إشكالية الهوى هوى النفس .
وكذلك هنا، السورة ترصد مشكلة في غاية الأهمية وهي مشكلة حب الدنيا، حب الدنيا والتكثُّر منها والمباهاة بذلك الأمر, والانشغال بالدنيا عن الآخرة، وسمّت السورة هذا كله من اللهو والعبث, وهو كما بيَّن ربنا تبارك وتعالى في غير ما سورة أن الحياة الدنيا كذلك.

قال جل وعلا في سورة الأنعام:
{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } [الأنعام: 32]
وقال أيضا في ذاتِ السورة:
{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأنعام: 70]

وقال سبحانه وتعالى مبيناً شأن هذه الحياة وما فيها أنّها إن أردت وصفها فما هي إلا هكذا لهو ولعب كما قال جل وعلا في سورة العنكبوت:

{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64]

وقال جل وعلا في سورة محمد:

{إِنّمَا الحَيَاةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ } [محمد: 36]

وجمعت آية سورة الحديد شأن الدنيا حينما قال:

{اعْلَمُوا أَنّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد: 20]

هذه الآية تفسر لنا ألهاكم التكاثر.

ما هي الدنيا؟

لعب ولهو وزينة وتفاخر، هكذا شأن الدنيا.

{لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } [الحديد: 20]

فحينما بيّن الله تبارك وتعالى حقيقة هذه الحياة، بيّن لنا أنها تدور حول هذه الأمور فهي لعبة.

والفرق بين اللعب واللهو

قالوا أن اللعب يكون مع غير اعتقاد القلب، أما اللّهو فيكون مع اعتقاد القلب، وزينة, ما هي إلا كما أقول إلا مكياج إبليس.
زينة وأمر الزينة يزول، زينة وتفاخر بينكم وهذا معنى التكاثر، وتكاثر في الأموال والأولاد.

تدبر معاني السورة

قالوا في قول الله تبارك وتعالى {أَلْهَاكُمُ التّكَاثُرُ } [التكاثر: 1], أي شغلكم المباهاة بكثرة الأموال, والعُدد وكثرة المتاع, عن طاعة الله جل وعلا، أنْسَتكُم هذه الأمور طاعة ربكم, وشغلتكم عما خلقتم من أجله.
قالوا التكاثر التكاثر بالمالِ والأولاد, تريد أن يكون لديك أموال كثيرة وأولاد كثيرون, تريد أن تتزوج و أن يكون لديك متاع, وأن تملك بدل السيارة سيارتان, وبدل البيت تريد أن يكون لديك بيت آخر, بيت تقضي الصيف فيه وبيت آخر يأويك, و و و ....

{أَلْهَاكُمُ التّكَاثُرُ } قال أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ : فِي حُبِّ الدُّنْيَا ، وَطُولِ الْأَمَلِ" [رواه البخاري رقم الحديث: 5970]

وقالوا: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } أي التفاخر بالعشائر والقبائل.
وقال الضحاك: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } أي التشاغل بالمعاش والتجارة.
{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا } [الجمعة: 11]

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(2) } [التكاثر: 2،1]
{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } أي حتى أدركتم الموت على تلك الحال فصرتم في المقابر زوّارا ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار.
{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } أي حتى صرتم من أهلها.
وقالوا {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } أي حتى صرتم تفتخرون بالأموات.
{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(2) }
وقد روى سعيد عن قتادة قال: كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان, ونحن أعد من بني فلان, وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم, والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم.
وقال عمر بن دينار, حلف أن هذه السورة نزلت في التجار، يعني كان عمر بن دينار يقول إن هذه الآية نزلت في جماعة التجار، وقال قتادة بل نزلت في أهل الكتاب, والصحيح أن الآية تعم جميع ما ذُكِر.

ما جاء في السُنة حول هذا المعنى

وفي صحيح مسلم عن مطرّف عن أبيه قال: "أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ " أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُر " وَيَقُول اِبْن آدَم مَالِي مَالِي وَهَلْ لَك مِنْ مَالِك إِلَّا مَا أَكَلْت فَأَفْنَيْت أَوْ لَبِسْت فَأَبْلَيْت أَوْ تَصَدَّقْت فَأَمْضَيْت ؟ " [رَوَاهُ مُسْلِم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ]
وَمَا سِوَى ذَلِك فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ " [تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِم]

أنت في شأن المال, ستأكل به، ستشرب به، سترتدي ملابس به، أو تتصدق به .
فما ستأكل سَيفنى وما ستلبسه سَيبلى وما ستتصدق به سَيبقى.

وروى البخاري من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: "لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب".

قال ثابت عن أنس عن أبّي: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } [التكاثر: 1]
يعني كأن هذا النص المشهور كان من القرآن، كانوا يظنون أنه كذلك إلى أن نزل قول الله تبارك وتعالى { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}

وقال ابن العربي: وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهّلوا والحمد لله على المعرفة، بمعنى إن هذا الحديث كانوا يعدونه من القرآن ابتداءا، لكن نزل بعد ذلك قول الله تبارك وتعالى { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } فكان فيه بيان لهذا المعنى أن ابن آدم دائماً أبداً يلهث.

وذُكر في بعض كتب التفسير أن التكاثر المقصود هنا تكاثر الأموال, وهو جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الأوعية.

ماذا يقصد؟؟

يقصد أنه لا يتزكى ولا يتصدق، يمنعها من حقها ويجمعها من غير حقها, ويجمع المال الحرام ولا يبالي أمِن حلال هو؟ أم من حرام؟ من شبهة؟ لا يبالي فهو يذهب ليخزنها ويشدها في الأوعية.

التعبير بـ(زُرْتُمُ)

{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر: 2] حتى آتاكم الموت، لاحظوا التعبير القرآنى الرائع (زُرْتُمُ) فصرتم في المقابر زوّارا، أي ترجعون منها كرجوع الزائر، لأن القبر وهو فترة البرزخ هو أول منازل الآخرة لكن المنزل هو الجنة أو النار، فأنتم في زيارة في القبور فما بالكم في الدنيا.

فهمتم؟

{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} أنتم أصلاً في الدنيا في زيارة وستصيرون إلى زيارة آخرى، والمنزل هو الجنة.

يقول الشاعر أبوتمام :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه دومًا لأول منزل

إذن المقابر هنا جمع قبر, والمراد بذلك حياة البرزخ، ولا شك أنّ من أعظم الأسبابِ لدواء القلب القاسي زيارة القبور، ولذلك عبّر بزيارة القبور بعد الكلام على الدنيا وإلهائها والتكثُّر منها.

ترغبون في معالجة مسألة حب الدنيا في القلب؟

إذن اقرؤا سورة التكاثر، فلم يأتي في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة، القرآن كله خلا من ذكر المقابر إلا في هذه السورة.

ولا شك كما يقول القرطبي أن زيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي لأنها تذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على قِصر الأمل ,فلم يتبقى غير أيام معدودة, والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها.

أحكام زيارة القبور

والنبي ﷺ قال: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تُرقُّ القلب وتُدمع العين وتُذكِّر الآخرة" قال ذلك النبي ﷺ كما ورد هذا في [سنن الترمذي] وقال حديث حسن صحيح فإنها تذكّر الآخرة .

وأيضاً ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "أنها تذكّر الموت" وهذا في [صحيح مسلم]

وروى الترمذي في كتاب الجنائز وابن ماجة أيضاً في كتاب الجنائز من جامع الترمذي وسنن ابن ماجة أن رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور

ورأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخّص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخّص دخلت الرخصة في حق الرجال والنساء.

وقال بعضهم, إنما كُرهت زيارة القبور للنساء لقلة الصبر وكثرة الجزع فإذا كانت المرأة مِمن نثق في تحملها وتأدبها بآداب الشرع, وليس أن تترك لنفسها العنان, فلا تنضبط بضوابط الشّرع، فإذن زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء ولكن مختلف فيه للنساء.

قال بعضهم أن المرأة الشابة حرام عليها الخروج, أما القواعد فمباح لهن ذلك، وقالوا يجوز للجميع ولكن التحقيق كما قلتُ, إذا كانت المرأة ممن يُعلَم عنها تصبُّرها فجائز إن شاء الله تبارك وتعالى, لعموم قول النبي ﷺ زوروا القبور.

لكن بطبيعة الحال طالما ذكرنا هذا لابد أن نضع بعض التنبيهات المهمة في مسألة زيارة القبور ومنها الفتنة التي تحصل من اجتماع الرجال والنساء فهذا لا يحل ولا يجوز، فالرجل يخرج ليعتبر فإذا به يخرج فينظر إلى امرأة فيفتتن بشأنها فهذا يؤزر ولا يؤجر.

وقال أهل العلم ينبغي لمن أراد علاج قلبه, ولمن أراد أن يقود نفسه بسلاسل القهر إلى طاعة ربه, أن يكثر من ذكر هادم اللذات, ومفرق الجماعات, وميتِّم البنين والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضَرين وزيارة قبور أموات المسلمين فهذه الأمور من أهم ما يُعالج به قسوة القلوب، فينبغي لمن قسى قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه ويستصرف بها على فتن الشيطان وأعوانه، فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت وانجلت به قساوة قلبه فالحمد لله.

أما إذا كان الران على القلب كثيف واستحكمت دواعي الذنوب فلابد له من مشاهدة بعض المحتضرين وزيارة قبور أموات المسلمين, فهذا بلا شك يجعله أكثر خوفًا لأن ذكر الموت إخبار، أما مشاهدة المحتضرين فمسألة معاينة والنبي ﷺ قال: "ليس الخبر كالمعاينة" والحديث [رواه الإمام أحمد وابن حبان].

أما الاعتبار بحال المحتضرين فلأنه ليس ممكناً في كل الأوقات, وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات، فلذلك يُشرع له زيارة قبور الموتى لأنها موجودة والانتفاع بها يكون أجدر، ستكون هنا في هذا المكان في تلك الحفرة في هذا المتر في متر، في مكان موحش مظلم

هذا المكان مكان الوحشة لا آنيس ولا جليس لك، بيت الظلمة بيت الدود، فحينما تتذكر هذه المعاني أهذه هي نهايتها؟
هل نهايتها هذا المكان؟

آداب زيارة القبور

ينخلع من القلب حب الدنيا، وكثير جداً شاهدنا ذلك بأعيننا, صلُح حاله بزيارة قبر من هذه القبور، لكن مع التأدب بالآداب وإنه يحضر قلبه حينما يجلس ويتفكر ولا يكون مجرد آداء واجب، ويطوف على المكان ويتصدق على بعض الناس, وربما يصنع بعض البدع, من قراءة شيء من فاتحة الكتاب, وغير ذلك مما لم يرد به نصٌ عن النبي ﷺ، بل يُقصد بالزيارة وجه الله تبارك وتعالى, وصلاح فساد قلبه، ولا بأس من أن يدعو كما صنع النبي ﷺ، ويتجنب المشي على القبر والجلوس عليه ويسلم إذا دخل المقابر، وإذا وصل إلى قبر ميّته الذي يعرفه سلم عليه أيضا, وآتاه من تلقاء وجه وكأنه يخاطبه مخاطبة الحي ويرجو الله له المغفرة ولا شك أن لهذا أثرًا.

وراجعوا ما سطّره الإمام ابن القيم في أوّلِ كتابِ الروح من هذه المعاني وحينما تجلس على القبر، فيا عبد الله اعتبر لمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قابل الجيوش والعساكر ونافس الأصحاب والعشائر وجمع الأموال والذّخائر، جاءه الموت من حيث لا يحتسب بغتة وجاءه الهول الذي لم يرتقب.
فتأمل حال من مضى من إخوانك واجعل ذلك قاطعًا لطول آمالك.
انظر إلى من جمعوا الأموال كيف انقطعت أموالهم انقطعت عنهم وانقطعت آمالهم فلم تغني عنهم أموالهم.
{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ } [الحاقة: 28]
انظر إلى الجميلة التي كانت تفتن الرجال وكانت مغرورة بجمالها، محى التراب محاسن وجهها وافترق في القبر أجزاء جسدها.
انظر إلى من ترمّل من بعدهم نسائهم وشمِل ذل اليتم أولادهم واقتسم غيرهم أموالهم وتراثهم .
فتذكّر حال هؤلاء وتذكّر ما كانوا عليه من حرصٍ على نيل المطالب التي تطلب والركون إلى الصحة والشباب، تذكّر ما كانوا فيه من لهو ولعِب تذكّر
{ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } [التكاثر: 1]
تذكّر أنه لابد لك أن تصير إلى مصيرهم، وتَفكّر بقلبك كيف شأن هذا الميِّت الذي تراه أمامك
"انظر الله تبارك وتعالى يقول في شأن هذه الحال:
{ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } [القيامة: 36]
انظر بعين قلبك لا بعينك التي ترى أمامك ترابًا انظر واعتبر.
انظر لمن تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر إلى ما يراه.

انظر له وقد سالت عيناه.
انظر له وقد كان يصول بالكلام والنطق، وقد أكل الدود لسانه.
انظر إليه وهو يضحك وتبدو أسنانه، وقد أبلى التراب أسنانه
واعتبر

كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

{كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 3]

كلّا ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر وهذه الأمور التي تشغلكم عن ربكم وعبادةِ خالقكم.

" كلا " وعيدٌ وتهديد.

{كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 3]

أي سوف تعلمون عاقبة هذه الحياة العابثة.

{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً } [المؤمنون: 115]

{ ثُمّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 4]

كلا سوف تعلمون عند المعاينة أنّ ما دعوتكم إليه حق.
كلا سوف تعلمون عند البعث أنّ ما وعدتكم صدق.
كلا سوف تعلمون عند النشور أنّكم مبعوثون.
ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم بتلاهيكم في الدنيا معذَّبون.
سوف تعلمون عاقبة التكاثر والتفاخر إذا نزل بكم الموت.

{كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 3] أي عند الموت.

{ثُمّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 4] قالوا أي عند القبر.

{كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } [التكاثر: 3،4]

فتضمنت هذه السورة القولُ في عذابِ القبر, ومعلوم أن الإيمان به واجب والتصديق به لازم، حسبما أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام, وبيّنت أن الله يحي العبد المكلف في قبره، يرد الحياة إليه ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، فيشعر ويدري ويعرف كما كان في الدنيا يعقل ما يُسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما آتاه من ربه وما أعد له في قبره من الكرامة أو من الهوان والعياذ بالله تبارك وتعالى.

{كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمّ كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5) } [التكاثر: 3:5]

أعاد كلا مرة ثانية، وقالوا: كلّا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى حقًا، حقاً سوف تعلمون، وقالوا هي ردعٌ وتنبيه.

{كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمّ كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5) }

كأنّ الله تبارك وتعالى قال لا تفعلوا فإنكم ستندمون لا تفعلوا فإنكم تستوجبون لأنفسكم العقاب.

كلا لو تعلمون علم اليقين وإضافة العلم إلى اليقين كما قال الله تبارك وتعالى:

{إِنّ هَذَا لَهُوَ حَقّ الْيَقِين } [الواقعة: 95]

وقيل: اليقين هنا علمكم بموتكم وزوالكم.

{كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين }

علم الموت الذي هو يقيني لا يعتريه شك.

{كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين }

ما يكون بعد الموت من البعثِ والجزاء.

مراتب اليقين

ومعلوم أن اليقين مراتب, فأوله علم اليقين, وثانيهِ كما بيّن الله تبارك وتعالى هنا عين اليقين, وثالثه حق اليقين كما قال في سورة الواقعة.

أمّا علم اليقين معرفة الإنسان معرفة جازمة لا شك فيها مائة بالمائة، وعين اليقين حينما يرى الإنسان هذا الأمر ويعاينه ويشاهده.

فالمسألة الأولى خبرية ذهنية (أنا أعرف), وشيخ الإسلام يضرب مثال في هذه المسألة يقول: إنسان يعرف أنه يوجد سائل اسمه العسل, شفاء لما في للناس كما بين الله تبارك وتعالى, لكن لم يرى هذا العسل، حينما يراه ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، حينما يذوقه ينتقل من عين اليقين إلى حق اليقين،

فهذه مراتب اليقين الثلاثة وأنا أسمي سورة ألهاكم التكاثر بسورةِ صناعة اليقين، أقول إنها صناعة اليقين، بينت في البداية ما يزول به اليقين وهو التكاثر الدنيا حب الدنيا, وبينت ما به يُصنع اليقين وهو زيارة القبور، أن تعيش أنت جو الآخرة وأن تتكيف وتُكيِّف النفس على هذه المعاني الإيمانية.

{كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين }

أي لو قد تطايرت الصحف فشقيٌّ وسعيد.

لَتَرَوُنّ الْجَحِيمَ

{لَتَرَوُنّ الْجَحِيمَ } [التكاثر: 6]

لترون الجحيم كثير من الناس يعتقد أن اللام هنا هي جواب الشرط في قوله:

{لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين } [التكاثر: 5]

لا، المعنى ليس كذلك لأن جواب لو محذوف، والتقديرلو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمون، إذا جاءتكم نفخة الصوت وانشقّت اللحود عن جثثكم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا.

يعني {كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمّ كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين(5) }

لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا.

إذن لو تعلمون علم اليقين، لو تعرفوا الآخرة، لو تتعلموا كيف تعيشوا جو الدار الآخرة، لو تعيشوا هذه المعاني لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا، وليس الجواب {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}.

{لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) }

هذا وعيدٌ ثاني وعيد آخر ومعناه لترون الجحيم في الآخرة, ولهذا كثير من الناس يقرأ هذه السورة خطأً حينما يقول: {كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)}

فيجعل المعنى كأن جواب لو هو لترون الجحيم، هذا خطأ جواب لو كما بيّنا محذوف وتقديره, لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا.

{ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ } [التكاثر: 6] والله سترون النار أمامكم.

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: 71] كلنا سيمر على الصراط ويرى النار تحته وسيؤتىَ بالنار يوم القيامة، وحينما تكونُ أمامك على رؤوس الأشهاد، حينها يود الكافر أن يكون ترابًا.

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ} [الفجر: 23]

يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

سلّم يارب سلم

سلم يارب سلم

{لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)} [التكاثر: 6،7]

سوف ترونها عياناً بياناً، لترونها بعيون قلوبكم فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك، ثم لترونها بعين رؤوسكم ترونها يقيناً لا تغيب عن أعينكم.

{ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

ثم لتُسألُن جميعا وقيل المراد الكفار.

ثم لتُسألُن عن النعيم والنعيم عامٌ في كل ما أنعم الله به على ابن آدم.

قال ابن مسعود الأمن والصحة.

قال ابن جبير الصحة والفراغ.

قال ابن عباس الإدراك بالحواس، بالسمع والبصر.

قال جابر بن عبد الله ملاذ الأكل والشرب.

قال الحسن الغذاء والعشاء.

قال مجاهد كل شيء من لذة الدنيا.

وذُكِرَ أن المعنى الماء البارد على العطش.

وقال مقاتل صنوف النّعم.

وقالوا ما أنعم الله عليكم من تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، بل أعظم النّعم بعثه النبي محمد ﷺ.

وطبعا الصحيح أنه عام في كل نعيم، عام في جميع الخلق، فالكافر يُسأل توبيخا إذا لم يشكر، والمؤمن يُسأل عن شكر هذه النّعم، وكل ذلك يراد منه أن يشكر الإنسان نعمة ربهِ عليهِ ويقرُ لمن أسداها بالفضل سبحانه وتعالى فيتحدث عنها ظاهرا ويعترف بها باطنا ويصرّفها في نعمة الله تبارك وتعالى.

{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: 8]

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يومٍ أوليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: "ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة"، قالا: الجوع يارسول الله، قال: "وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما

انظروا أبو بكر وعمر ومِن قبلهم النبي ﷺ جوعى، ونحن لا نجد بفضل الله عز وجل من يبيت ولا عشاء له إلا القليل.

والله لنُسألن عن النعيم، ولنُسألن عن ما زاد من الأقوات ومن المتاع مما لم نتصدق به ولم نضعه في موضعه.

نسأل الله العفو والعافية.

نسأل الله العفو والعافية.

قاما فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت:مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله ﷺ: "أين فلان ؟"، قالت: يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري - يعني أنه جاء في نفس الوقت الذي قالت فيه أن الأنصاري ذهب ليحضر لهم ماء حلو - فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيهِ ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني -العرب بكرمهم والصحابة طبعاً على ما جبلهم الله عليه من هذا الكرم، فضيّف النبي ﷺ وأبو بكر وعمر، قال: فانطلق، فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب -يعني أحضر لهم بعض البلح ليأكلوا منه -، فقال: كلوا من هذا، فقال له رسول الله ﷺ: "إياك والحلوب" ،فذبح لهم فأكلوا من الشاة -يعني ذبح لهم أيضاً ذبيحة- ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا - بمعنى إنهم قد أكلوا طعام طيب، أكلوا من لحم الشاة و أكلوا من الرّطب ومن التمر وشربوا -، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: "والذي نفسي بيده لتُسألن عن نعيم هذا اليوم - أي يوم القيامة-، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم" [رواه مسلم]

انظروا كم يوم, وربما حياتك كلها، كم يوم مرّ عليك بهذه الشاكلة وجدت فيه طعامك وجمع الله لك فيه الخير كله.

وفي لفظ أن النبي ﷺ قال: "هذا والذي نفسي بيدي من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة ظلٌ بارد ورطبٌ طيب وماءٌ بارد"

وقالوا: أن الرجل الأنصاري كان مالك بن تيهان وكان يُكنَّى بأبى الهيثم.

وأخرج أبو نُعيم في الحلية عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ " خرج علينا رسول الله - ﷺ - ليلًا، فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه، فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه، فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطًا لبعض الأنصار-يعني حديقة أو عزبة-، فقال لصاحب الحائط : "أطعمنا بسرًا (تمرًا)" فجاء بعذق، فوضعه فأكلوا، ثم دعا بماء فشرب، فقال:"لتسألن عن هذا يوم القيامة" قال: وأخذ عمر العذق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله - ﷺ - فقال : يا رسول الله، إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال: " نعم إلا من ثلاث : كسرة يسد بها جوعته، أو ثوب يستر به عورته ، أو حجر يأوي فيه من الحر والقر "

إلا الضرورات أما غير ذلك، فقالوا: كل نعيم من نعيم الدنيا يسلبك من رصيدك في الآخرة، فهذا مما يوضع في قول الله تبارك وتعالى:

{ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا } [الأحقاف: 20]

ولذلك ينبغي علينا كلما مرت علينا هذه الآية أن نفزع، لأننا للأسف الشديد كما بيننا فيما مرّ

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(8) } [العاديات: 6: 8]

علينا إذا مرت بنا هذه الآيات أن نتعلم فقه الشكر وأن نحذر من فوات رصيد الآخرة بتكثرنا من الدنيا، ولهذا جاءت سورة التكاثر في خاتمتها

{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: 8]

ما تلتهي به ستُسأل عنه إن زاد عن حاجتك "عن أكل أو كسوة أو دار" الأمور الضرورية، أمّا ما زاد عن ذلك فستُسأل عنه يوم القيامة.

من أين اكتسبت المال وأنفقته في هذه الأشياء؟

هذه الأشياء كانت ضرورية أم لم تكن ضرورية؟

هذا فقه الشكر وفقه الزهدِ ياعباد الله.

سورة صناعة اليقين

سورة التكاثر سورة صناعة اليقين، بيّنت لنا كيف نصنع اليقين.

قالت: أول شيء إن علينا أن نتخلص من حب الدنيا ونتخلص من هذه الملاهي التي تشغلنا عن الله تبارك وتعالى، وهذا يكون بزيارة القبور ومعاينتها.

والأمر الثاني: أن نكون على علم يقيني بما سيكون من بعثٍ وما بعده، فمعايشة هذه المعاني وكدراسة المعاني الخاصة بمشاهد يوم القيامة كأن السورة توصينا بهذا.
أوصتنا بزيارة القبور، أوصتنا أيضاً بدراسة أحوال وأهوال يوم القيامة بسماع المحاضرات وبقراءة كتب الوعظ ككتاب القرطبي، وهناك تصحيحات على هذا الكتاب كتاب التذكرة ونحوها من الكتب النافعة كأحوال الموتى والآخرة كقراءة كتاب مثل سكب العبرات للشيخ سيد حسين العفاني، ومعايشة هذه المعاني أيضا من الكتب الجامعة في هذا الباب.

والأمر الثالث قال سبحانه وتعالى:
{لَتَرَوُنّ الْجَحِيمَ (6) ثُمّ لَتَرَوُنّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7) }
أيضاً لا نهتم بأحوال الموتى والقبر وكذا فقط وإنما أيضاً أن نعلم حقيقة المصير وأن تكون الجنة والنار رأي عين.

الأمر الآخر في هذه الوصفة: شكر النعم وفهم طريقة الحساب على النعم حتى لا تتكثر منها فتتكثر من الحسابِ عليك يوم القيامة، فإنه يؤتى بالنعم يوم القيامة وبالحسناتِ والسيئات، فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنة إلا ذهبت بها.
وذكر وهب بن منبه أنَ عبَدَ الله عز وجل عابدٌ خمسين عاماً، فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لك, قال يارب وما تغفر لي ولم أذنب؟
فأذن الله عز وجل لِعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصلي، ثم سكن وقام، فأتاه ملك فشكى إليه ما لقيَ من هذا العرق، فقال الملك: إن ربك عز وجل يقول: عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق.
وهذا ذكره ابن رجب في كتاب جامع العلوم والحكم.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين لأنعمه مِن مَن لا يكون للدنيا وزن في قلبه.
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا، ذكّرنا بالجنةِ والنار ذكّرنا بالقيامة، اجعل القيامة واجعل الاخرة منّا على بال وارحمنا إنك بنا راحم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منّا ومنكم وأن يأخذ بأيدينا وأيديكم إليه أخذ الكرام عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه، فستذكرون ما قلت لكم لاسيما هذه السورة التي تُصدِّع القلوب مع تلاهي الناس في الدّنيا وأفوض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد.
وصلِ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.